

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

*The image of the illegal immigrant through the documentary film
A semiological analytical study of the documentary "LE PIEGE"*

ربيعة سفيحي^{1*}، أ/ محمود إبراقن²

¹ كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر 3، الجزائر، sfihi.rabea@univ-alger3.dz

² كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر 3، الجزائر، ibarraken2020@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/01

تاريخ القبول: 2021/05/06

تاريخ الاستلام: 2021/03/14

ملخص:

استهدفت هذه الدراسة الكشف عن واقع الهجرة الإفريقية غير الشرعية، من خلال عرض صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي، هذا النوع السينمائي المميز الذي يركز في محتواه وبنيته، تقديم ونقل الحياة الواقعية كما هي، فتناولت الدراسة بالتحليل السيميولوجي الفيلم الوثائقي "LE PIEGE" "الفخ" هذا الفيلم الفرنسي الأصل الذي يطرح ويعالج قضية هجرة الأفارقة غير الشرعية، في المرحلة التي كانت فيها الاضطرابات السياسية قائمة في ليبيا فترة حكم "معمر القذافي"، حيث تتبّع فيه المخرج ورافق مهاجرين غير شرعيين في رحلة عبورهم للصحراء النيجرية الكبرى، وصولاً للحدود الليبية لحين بلوغهم البر الأوروبي. ومن أهم مخرجات البحث، أن الفيلم الوثائقي باعتباره "سينما الواقع"، قد صور بكل واقعية الأحداث والعقبات التي صادفت المهاجر الإفريقي غير الشرعي في رحلة عبوره الصحراء، كما نقل شهادات حياة للمغامرين الذين صادفهم، والذي كان رحيلهم اضطرارياً في ظل معادلة الطرد والجدب، ليجدوا أنفسهم بالموازاة مع التهريب وقلة المال ومسائل لم يتفقهوا لها، ليصبحوا بذلك ضحية مناورات جيوسياسية عميقة؛ وقد كانت للقطات السيكولوجية دوراً هاماً في تصوير ونقل قلق ومشاعر المهاجر وارتبائه في كل مرحلة من مراحل مسيرته لتحقيق حلمه في العبور لأوروبا.

كلمات مفتاحية: المهاجر غير الشرعي، الفيلم الوثائقي، سينما الواقع، الصورة الفيلمية، التحليل السيميولوجي.

Abstract:

This study aims to reveal the reality of illegal African immigration, by presenting the image of the illegal African immigrant in the documentary film, a specific cinematographic genre by the content and the intention to present and transmit the real life as which is. Through the semiological analysis of the documentary film "LE PIEGE", this French film which deals with the phenomenon of the illegal immigration of Africans, at times political turmoil were present in Libya under the reign of "Muammar Kaddafi", in which the director followed and accompanied illegal African immigrants in their crossing of the Great Nigerian Desert, reaching the Libyan borders and arriving in the European continent

Among the important results of the research is, the documentary film, being considered as "cinema-reality", realistically photographed the events and obstacles encountered by the illegal African immigrant on his journey across the desert , we as vivid testimonies of the adventurers encountered , whose departure was forced under the equation of expulsion and attraction , that they find themselves in parallel with smuggling, lack of money, and problems quite heavy, thus becoming victims of deep geopolitical maneuvers, as it's added that psychological images played an important role in the representation and transmission of the anxiety, feelings and confusion of the immigrant at every step of his journey to realize his dream of crossing Europe.

Keywords: Illegal immigrant; the documentary; cinema-reality; film Image; semiological analysis.

مقدمة

تعتبر الهجرة غير الشرعية أحد الظواهر الاجتماعية الأكثر انتشارا في مجتمعاتنا المعاصرة، إذ تمثل قضية جدل على جميع الأصعدة وتأثيراتها على الرأي العام، إذ تعددت دوافعها وأسبابها ما أدى لتباين النظريات المفسرة لها، في محاولة شرحها وتفسيرها في الخضم الذي نشأت فيه، ويمثل المهاجر غير الشرعي العنصر الأساسي المكون لها، فيقوم بالفعل في اجتيازه للحدود الدولية بصفة غير قانونية أو سرية عبر العديد من الطرق سواء برية، جوية، بحرية، هذه الأخيرة الأكثر شيوعا بركوبه قارب الموت سعيا منه في تحقيق حلمه باللاحق بالعالم المتقدم. وقد انصب اهتمام وسائل الإعلام بمختلف أشكالها بطرح موضوع الهجرة غير الشرعية ووضع صورة المهاجر غير الشرعي أمام الجمهور، سعيا منها في تعميق النقاش والجدل، والتأثير على المجتمع للحد من هذه الظاهرة.

إشكالية الدراسة:

يعتبر الفيلم الوثائقي أحد أهم القوالب الفنية السينمائية، حتى وإن كان استخدامه ضئيل من قبل المخرجين السينمائيين إلا أنها تعتبر "سينما الحقيقة" ومحتواها يكون من وحي الواقع، كما تصف هذا النوع السينمائي "باتريشيا أوفرهايدي" في قولها: "الأفلام الوثائقية أنها لوحات للحياة الواقعية" وتضيف في قولها: "إن الفيلم الوثائقي قصة تدعي المصادقية، ويتوقع أن يكون الفيلم الوثائقي تجسيدا منصفا وصادقا لتجربة شخص ما من الواقع" (أوفرهايدي، 2013، صفحة 10)، ومن هذا المنطلق تأتي دراستنا لتعالج بالتحليل السيميولوجي فيلم "le piège" (الفخ)، هذا الفيلم الفرنسي الأصل الذي يطرح ويعالج قضية هجرة الأفارقة غير الشرعية في المرحلة التي كانت فيها الاضطرابات السياسية قائمة في ليبيا فترة حكم "معمر القذافي"، لتتصب دراستنا في محاولة لفهم ما تم بثه في هذا الفيلم الوثائقي سواء كان صريحا أو ضمنيا حول صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي والهجرة الإفريقية غير الشرعية عموما، وربط ذلك بما هو واقعي، وضمن هذا السياق تتضح معالم إشكالية البحث في التساؤل الجوهري التالي:

كيف عرض الفيلم الوثائقي صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي؟ وهل الصورة التي وظفت في الفيلم

الوثائقي مطابقة للواقع الذي يعيشه هذا المهاجر غير الشرعي؟

وللإحاطة بمختلف حيثيات موضوع الدراسة، وجوانب الإشكالية المطروحة، تم تفكيك السؤال الجوهري إلى

التساؤلات الفرعية التالية:

1- كيف انتقل "الفيلم الوثائقي" من إشكال المصطلح ليصبح "سينما الحقيقة" كنوع سينمائي مميز؟

2- كيف قدم الفيلم الوثائقي محل الدراسة ظروف وواقع المهاجر الإفريقي غير الشرعي في ظل عوامل الطرد والجذب؟

3- هل جسد الفيلم الوثائقي قيد الدراسة لقطات رمزية لدلالات ضمنية حول الوضعية الاجتماعية التي يعيشها المهاجر الإفريقي غير الشرعي؟

4- ما هي الصورة التي رسمها مخرج الفيلم الوثائقي نموذج الدراسة عن المهاجر الإفريقي غير الشرعي؟

1. الاجراءات المنهجية للدراسة

1.1. تحديد مصطلحات ومفاهيم الدراسة:

أ- المهاجر غير الشرعي:

- اصطلاحا: يعرف المكتب الدولي للعمل (BIT) "المهاجر غير الشرعي بأنه: " كل شخص يدخل أو يقيم أو يعمل خارج وطنه دون حيازة الترخيصات القانونية اللازمة، لذلك يعتبر مهاجراً غير شرعي أو سري أو بدون وثائق، أو في وضعية غير قانونية (Bureau International du Travail, 2004, pp. 15-21)

-إجرائيا : هو المهاجر العابر للصحراء الإفريقية الكبرى بغية تحقيق حلم بلوغ أوروبا، حيث سلطنا الضوء على ذلك المهاجر غير الشرعي تبعا للمعطيات التي قدمها لنا الفيلم الوثائقي قيد الدراسة.

ب-الفيلم الوثائقي:

-اصطلاحا : يرى معجم الفن السينمائي أنه : "نوع من الأفلام غير الروائية لا يعتمد على القصة ولا الخيال، بل يتخذ مادته من واقع الحياة سواء كان ذلك بنقل الأحداث مباشرة كما جرت في الواقع أو عن طريق إعادة تكوين وتعديل هذا الواقع بشكل قريب من الحقيقة الواقعية" (الحديدي، الأفلام التسجيلية و البرامج الوثائقية، 2002، صفحة 18)

-إجرائيا : هو الفيلم الوثائقي محل الدراسة ، المتمثل في الوثائقي الفرنسي الأصل "le piège" " الفخ" للمخرج " Alexandre Dereims" ، الذي تم إنتاجه سنة 2011، حيث يعالج ظاهرة الهجرة الإفريقية غير الشرعية، إذ تتبّع فيه المخرج ورافق مهاجرين إفريقيين غير شرعيين في رحلة عبورهم للصحراء النيجرية الكبرى، وصولا للحدود الليبية لحين بلوغهم البر الأوروبي، مصورا بعدسة كاميرته حقيقة العقبان والعراقيل التي صادفتهم مرحلة بمرحلة.

ج - الصورة الفيلمية:

-اصطلاحا: من المنظور السيميولوجي "الصورة" هي: "حامل للمعنى، فتقيم الاتصال، ونجاح العملية الاتصالية يتوقف كثيرا على متلقيها وقارئها، الذي يتأمل الصورة ويتمعن فيها، ثم يبحث عن المعنى الحقيقي، والجانب

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

التأملي للصورة يسمى جانب شكلي ويقدم أولا قراءة شكلية جمالية، بين ما يتمثل الجانب الثاني في عملية فهم ما تريد أن تقوله فعلا الصورة بفك رموزها لاكتشاف معناها وهو الجانب الباطني للصورة" (Lazar, 1993, p. 88) ؛ أما الصورة الفيلمية: فتعتبر: "العنصر القاعدي للغة السينمائية التلفزيونية (اللغة السمعية البصرية)، فهي تعد المادة الأولية الفيلمية، فهي كذلك واقع مميز ومعقد، فهي منتج لنشاط آلي لجهاز، أو آلة تقنية قادرة على الإنتاج بكل دقة وموضوعية الواقع الممثل لها، ولكن في نفس الوقت هذا النشاط موجه في اتجاه ومعنى معين يريده المخرج أو ملتقط الصورة وأهم ما يميز الصورة الفيلمية هي الحركة والصوت إذ تعتبر الحركة " Le mouvement "العنصر الهام والمميز "Le caractère le plus spécifique" لها، فضلا عن الصوت " Le son " المكون الأساسي للصورة، وعلى هذا الأساس تترك الصورة الفيلمية إحساس بواقعة موضوع العرض لدى المتفرج أو المشاهد" (Martin, 1992, pp. 21-22)

-إجرائيا : يقتصر مصطلح الصورة في دراستنا على تلك الصورة الفيلمية المستخدمة في الفيلم الوثائقي محل الدراسة، لوضع شخص المهاجر الإفريقي غير الشرعي أمام المشاهد.

2.1. أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة معرفة كيفية معالجة الفيلم الوثائقي لواقع الهجرة الإفريقية غير الشرعية وكيف صور الحقيقة والواقع الاجتماعي للمهاجر الإفريقي غير الشرعي في رحلة عبوره الصحراء لتحقيق حلمه، كما نهدف إلى ربط بين حقيقة الظاهرة في الحياة الواقعية وبين بنية محتوى الفيلم الوثائقي محل الدراسة، بالإضافة لإبراز أهمية الفيلم الوثائقي كنوع سينمائي خاص في رسم صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي.

3.1. أهمية الدراسة:

تكتسي هذه الدراسة أهمية لمعالجتها أحد الظواهر الأكثر انتشارا في المجتمعات المعاصرة والأكثر تداولاً في الأوعية الإعلامية بمختلف أشكالها، لتندرج دراستنا ضمن البحوث التحليلية السيميولوجية والتي نعني فيها تحليل الفيلم الوثائقي، فضلا لما يقدمه هذا النوع السينمائي المميز من وقائع عن الحياة الاجتماعية، إضافة إلى ذلك، إظهار قوة الصورة الواقعية المقدمة في الفيلم الوثائقي وتجسيده للواقع والتجارب التي يعيشها المهاجر الإفريقي في سبيل تحقيق حلمه في العبور لأوروبا.

4.1. عينة الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة، قمنا باختيار العينة القصدية أو العمدية والتي تخدم مباشرة موضوع الدراسة حيث تمثلت في اختيار الفيلم الوثائقي " Le piège " "الفخ" للمخرج الفرنسي "Alexandre Dereims" والذي

عالج فيه المخرج قضية هجرة الأفارقة غير الشرعية نحو أوروبا، حيث تعمدنا اختيار خمس (05) متتاليات، حيث قمنا بالتفصيل فيها في الجانب التطبيقي للدراسة.

5.1. الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

ينحصر المجال الزمني للدراسة في الحقبة التي تم فيها تصوير الفيلم الوثائقي قيد الدراسة والمتمثلة في الفترة الزمانية التي كانت فيها الاضطرابات السياسية قائمة في ليبيا فترة حكم "معمر القذافي"، أما المجال المكاني للدراسة يشمل مناطق التصوير الذي تدور فيه أحداث الفيلم الوثائقي التي عبرها المهاجر الإفريقي غير الشرعي المتمثلة في: الصحراء النيجيرية الكبرى، الحدود الليبية، تونس، اليونان، إيطاليا (جزيرة ليمبيدوزا)، فرنسا.

6.1. منهج الدراسة

لقد عرفت دراسات علوم الإعلام والاتصال تطورا في مناهجها المستعملة في تحليل الظواهر الاتصالية خاصة تلك المتعلقة بتحليل الرسائل السمعية البصرية كتحليل الأفلام، فقام الباحثون بتطوير وتبني مقاربات منهجية لتتناسب هذا النوع من الأبحاث، فإن المقاربة حسب "موريس أنجرس" هي: "طريقة خاصة غير تقليدية في استعمال النظرية" (أنجرس ، 2004 ، صفحة 462) وهذا يعني عدم التقليد الأعمى، وفي دراستنا تم الاعتماد أساسا على مقاربة التحليل السيميولوجي للفيلم الوثائقي "LE PIEGE"، فهذه المقاربة تسمح لنا بالوقوف عند الدلالات الخفية والضمنية للرسالة الفيلمية، التي تسعى بدورها للكشف عن وظيفة الصورة باعتبارها أداة إعلامية تحمل أبعادا دلالية، حيث تركز دراستنا بالخصوص على مقاربة "رولان بارث" التي تقوم على بحث المعنى على مستويين: "فالمستوى الأول يعرف بالمستوى التعييني" **Dénotation** الذي يتعلق بين الدال والمدلول في خضم الدليل أما المستوى الثاني يعرف بالمستوى "التضميني" **Connotation** فيرتكز على العلاقة التي تربط الدليل بالمحيط الخارجي أي يرتبط بالنظام الاجتماعي و بالسياق الثقافي (Joly, 1994, pp. 71-72)

وتبعنا لما سبق سنقوم بمشاهدة الفيلم عدة مرات وذلك بهدف رصد الأفكار الرئيسية للفيلم ومعرفة أبرز التفاصيل والأحداث المشكلة له، لنقوم بعدها بتحديد أهم المقاطع والمتتاليات لتمثل عينة الدراسة عبر الاستعانة بتقنية التصوير البطيء والوقوف على الصورة لفحص ومعاينة والكشف عن عناصرها ومعرفتها بدقة والتحكم في التحليل بقراءتها قراءة خاصة بتحويل العناصر والدلائل التي تحتويها إلى بيانات وعناصر مكتوبة، إضافة لما سبق، سنستعين بأدوات التحليل النصي للفيلم، حيث تستعمل مجموعة من الأدوات المتمثلة في الأدوات

الوصفية "Instruments Descriptifs" التي تشمل على التقطيع التقني "Découpage technique"، التجزئة "Segmentation"، وصف صور الفيلم "Description des images"، إضافة للأدوات الاستشهادية "Citationnels"، والتي تشمل بدورها على نسخة من الفيلم "Extrait de film"، و الوقف على الصورة "Arrêt sur image".

كما استعنا بالمنهج الوصفي باعتباره من المناهج الأكثر شيوعا وملائمة لدراسة القضايا والظواهر ذات البعد الاجتماعي وكذا الظواهر السوسيو-اتصالية؛ والدراسات الوصفية: "توضح خصائص الظاهرة أو الحدث وتقوم بتفسيره تفسيراً علمياً دقيقاً؛ فهي ليست مجرد جمع البيانات والحقائق وإنما هدفها استخلاص الحقائق ودلالاتها وفقاً لأهداف الدراسة" (القول ، 1982، صفحة 52).

2. الفيلم الوثائقي من إشكالية المصطلح إلى "سينما الواقع"

يعد الفيلم الوثائقي من المواد السمعية البصرية والتلفزيونية المهمة، ذلك لأهميتها الإعلامية والتعليمية بالنسبة للمجتمعات، فانعكس الاهتمام بهذا النوع من الأفلام بشكل بارز من قبل الباحثين والمنظرين ومنتجي الأفلام التسجيلية ومخرجيها" (جاد و أحمد علي ، 1997، صفحة 143) وتشير "باتريشيا أوفرهايدي" في مؤلفها: "أن الأفلام الوثائقية جزء من وسائل الإعلام التي لا تساعدنا فقط على فهم عالمنا، بل في استيعاب دورنا فيه، والتي تشكلنا بوصفها وسيلة إعلام جماهيرية" (أوفرهايدي، 2013، صفحة 12).

وقد بدأ رواد الأعمال في أواخر القرن التاسع عشر لأول مرة في تسجيل أفلام لأحداث من واقع الحياة، أطلق البعض على ما يصنعونه اسم "أفلام وثائقية" غير أن المصطلح ظل غير ثابت لعقود، وأطلق آخرون على أفلامهم "تعليمية"، و"واقعية" و"تشويقية"، وربما أشاروا لموضوع الفيلم مثل "أفلام الرحلات" وقرر الإسكتلندي "جون جريسون" أن يستخدم الشكل الفني الجديد في خدمة الحكومة البريطانية، وصاغ مصطلح "وثائقي" بإطلاقه على عمل المخرج الأمريكي "روبرت فلاهيرتي" "موانا-Moana" (1926) الذي يؤرخ للحياة اليومية على إحدى جزر "ساوث سيز" وقد عرّف الفيلم الوثائقي بأنه: "التجسيد الفني للواقع" (أوفرهايدي، 2013، صفحة 11)، ويرجع أول استخدام عبارة "Film documentaire" إلى الفرنسيين عبر وصف "أفلام الرحلات" "Film de voyage" التي كانت تتناول موضوعات عن المكان أو الحدث أو الشخص، أما بالنسبة لاستخدام المفهوم الوثائقي عند الانجليز فهو نوع من الأفلام التسجيلية الوثائقية "Documentary Film" ولم يقتصر هذا النوع من الأفلام عند الانجليز على تسجيل الحقيقة الواقعة وإنما يضاف إليها الرأي (الحديدي ، الفيلم

التسجيلي (تعريفه، اتجاهاته، أسسه و قواعده)، 1982، الصفحات 11-12)، كما يعني في الاصطلاح الفرنسي أن الفيلم وثيقة عن المكان أو الحدث أو الشخص الذي يتناوله ولهذا يفضل البعض ترجمته إلى "الفيلم الوثائقي" بدلا من "الفيلم التسجيلي" (أيمن، 2015، صفحة 24)

وتتعدد التعريفات الاصطلاحية للفيلم الوثائقي في الأدبيات التي تتناوله؛ إلا أنها تلتقي حول كون الفيلم الوثائقي "فيلما غير روائي"، "وتعد الأفلام الوثائقية "films documentaires": من منظور المدرسة "الموضوعية" أو الواقعية"، النوع الأنسب لتصوير الحياة "كما هي" (إبراقن ، 2001، صفحة 166)

ومن هنا يعتبر الفيلم الوثائقي أو كما يطلق عليه "سينما الحقيقة" أو "سينما الواقع" هدفه اكتشاف العلم وتوسيع نطاق الواقع الممكن تصويره، والسينما كفن بدأت تسجيلية من خلال عملها على تقديم صورة منسوخة للواقع المتحرك، حيث ساعد على تطوير هذا الاتجاه وسرعة انتشاره اكتشاف الكاميرا السينمائية 1ملم. (فورست، 2000، صفحة 11)

3. التحليل السيميولوجي للفيلم الوثائقي "LE PIEGE"

1.3. بطاقة فنية لمخرج الأفلام الوثائقية " ألكسندر دورايمس - Alexandre-Dereims :

مخرج أفلام وثائقية منذ عشرية من الزمن، من أصول فرنسية، بثت أعماله على نطاق واسع على التلفزيون الفرنسي العام والخاص وفي العديد من القنوات التلفزيونية الأجنبية من بينها: القناة التلفزيونية الفنلندية (YL E)، القناة السويسرية (TSR)،... وغيرها، كما حاز على الجائزة الدولية للصليب الأحمر سنة 2007، وتحصل سنة 2009 على جائزة ألبرت لندن لأفضل المراسلين الفرنسيين (le prix Albert Londres de grands Reporters) في فرنسا عن فيلمه الوثائقي الموسوم: ((Han, le prix de la liberté (2008))، بالإضافة للجائزة الذهبية التي تحصل عليها في "موناكو" قبيل فيلمه الوثائقي حول اللاجئين شمال كوريا. (Tlaxcala, 2020)؛ وقد أبدع " Alexandre-Dereims " خلال عقد من الزمن في إخراج الفيلم الوثائقي فنذكر أعماله كالتالي (Ducrocq, 2011) :

✓ سنة 2002: La vie d'un intouchable pousse –pousse à Calcutta

✓ سنة 2003: La mort en face

✓ سنة 2005: Les Khmers rouges: un procès contre l'oubli

✓ سنة 2006: Un génocide à huis clos

✓ سنة 2008: Han·le prix de la liberté

✓ سنة 2009: Birmanie: Un pays sous Corée du Nord: la liberté ou la mort وفيلم: contrôle

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

Les Sauveteurs de vie :2010 سنة ✓

.Le Piège :2011 سنة ✓

Nous sommes L'Humanité :2018 سنة ✓

(TRAVERSES, film-documentaire.fr/portail du film documentaire, 2020)

2.3. بطاقة فنية للفيلم:

(TRAVERSES, film-documentaire.fr/portail du film documentaire, 2020)

* عنوان الفيلم: "LE PIEGE" (ترجمة العنوان للعربية: "الفخ").

* سيناريو وإخراج: Alexandre Dereims.

* نوع الفيلم: وثائقي.

* التركيب و المونتاج: Gabriel Humeau, Claire Le Ble.

* مدير التصوير والمسؤول على الصوت: Saddek Chettab, Alexandre Dereims, Jean-Pierre Jost.

* مكان التصوير: صحراء النيجر، الحدود الليبية، تونس، اليونان، إيطاليا، فرنسا.

* اللغة: الفرنسية (مع الترجمة إلى الفرنسية).

* سنة الصدور: 2011.

* مدة الفيلم: 75 دقيقة

* جنسية الفيلم: فرنسية

* إنتاج: France Télévisions، Première Nouvelle، Maha Productions

* توزيع: JAVA Films

* رابط الفيلم على اليوتوب: <https://www.youtube.com/watch?v=zOabYw4laME>

3.3. ملخص الفيلم:

ينقل الفيلم الوثائقي الطريق التي خاضها المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين فترة حكم الزعيم الليبي "معمر القذافي"، انطلاقاً من الصحراء الكبرى النيجيرية، وصولاً للحدود الليبية، فرافق المخرج المهاجرين وعاش معهم تجربة عبورهم الصحراء تحت أشعة الشمس الحارقة حيث صادفتهم الكثير من العقبات ووقعوا في فخ المهربين منذ بداية رحلتهم، إلا أنّ عزيمتهم وإحاحهم لتحقيق حلمهم دفعتهم لمواصلة وتحمل المشقة، ليجدوا أنفسهم أمام فخ الزعيم الليبي بعد إمضاء اتفاقية الصداقة بين ليبيا وإيطاليا للحد من الهجرة غير الشرعية سنة 2009، فيتم اعتقالهم وتعذيبهم في مراكز خاصة، لحين انقلاب الحكم وإلغاء الاتفاق سنة 2011، ليتغير

الوضع أمام هؤلاء المغامرين، حيث نقل المخرج كيفية عبورهم البحر ووصولهم للبر الأوروبي، ليواجهوا مشاكل أخرى لم يتفقهوا لها، ليضلوا عالقين في دوامة التجوال الحر بدون وثائق لسنوات عديدة. وبالمقابل صور المخرج خيبات ومرارة الخسارة للمهاجرين الأفارقة غير الشرعيين الذين لم يحالفهم الحظ في بلوغ الضفة الأخرى من العالم، ليملكوا بمخيمات اللاجئين بشوشة في تونس.

4.3. التحليل التعييني والتضميني للفيلم الوثائقي "LE PIEGE" وفق المتتاليات المختارة:

❖ أولاً: متتالية الفضاء والزمان وجنريك بداية الفيلم:

استهل المخرج فيلمه الوثائقي مستعينا بمشاهد إخبارية تُظهر جانب من اتفاقية الصداقة بين ليبيا وإيطاليا والتي تنص على الحد من الهجرة غير الشرعية للأفارقة، بشرط تمويل إيطاليا لليبيا بمبلغ خمسة مليار يورو لمدة 25 سنة، فنظهر لنا اللقطة العامة ساحة المطار وسجادة حمراء مع تواجد طاقم عسكري وبيانات مكتوبة باللغة الفرنسية كالتالي: «11 juin 2009, Aéroport de Fiumicino, Rome- Italie»

لنتعاقب مشاهد مراسيم استقبال الوفد السياسي الليبي مصحوبة بالبيانات المكتوبة التالية موضحة سبب أبرام الاتفاقية، لتصور الكاميرا بداية المراسيم، ليتخلل العرض المشهدي خطاب الرئيس الليبي، ليعم الصمت مباشرة وتبرز الشاشة باللقطة العامة الصحراء والسماء ووسطها ثلاث دوائر بيانات مكتوبة: «Désert du Ténéré, Niger»، مع تنقل أمامي سريع للكاميرا ليتبين للمشاهد أنها شاحنات:



فوتوغرام رقم 01: شاحنات المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين في عرض الصحراء النيجيرية.

فنستمع لخطاب الرئيس الليبي، بإعادة النظر في الإجراءات الأوروبية حول الهجرة غير الشرعية، لتظهر اللقطة العامة شاحنات محملة وسط الصحراء مع تنقل مصاحب، لتعود بنا اللقطة المتوسطة لإظهار "القذافي" في مواصلة إلقاء خطابه كالتالي: "اللجوء السياسي، اللجوء السياسي؟ هذه ملايين تزحف نحو أوروبا" مع الضحك بطابع الاستهزاء و السخرية)، مع ابراز الشاشة المحملة بالأمثلة وأشخاص جالسين عليها، ومع مواصلة "القذافي" خطابه تتعاقب اللقطات من متوسطة إلى قريبة، لتظهر للمشاهد الكتل البشرية على متن الشاحنات العابرة للصحراء، لتليها اللقطة المتوسطة "للقذافي" مصرحاً: "نحن كمحاولة مؤقتة لعمل ما يمكن عمله طلبنا (...). أن الاتحاد الأوروبي يزود ليبيا بمليار يورو سنويا لعل الأقل التخفيف من الهجرة"، وتختتم

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

المشاهد بمراسيم الإمضاء على الاتفاقية بين الطرفين، مع توظيف موسيقى الرعب والخوف والخطر، ليباشر المعلق تعليقه باللغة الفرنسية كالتالي:

« Ce jour-là Silvio Berlusconi signe le chantage de colonel Kadhafi »

فمن خلال البناء المشهدي، يمكن القول أن المخرج تعمد استخدام المعطيات الإخبارية كبداية للفيلم لإبراز موضوع الهجرة الإفريقية غير الشرعية ولهذه المشاهد التمهيدية وظيفة تعريف وإخبار المشاهد بزمكانية الأحداث وتقديم الشخصيات الأساسية للقضية المطروحة في الفيلم الوثائقي، وتعتبر هذه المتتالية المحرك الأساسي له، فتم التركيز على خطاب الزعيم الليبي "معمر القذافي" ليترجم بذلك الدلالات العميقة للخطاب السياسي الذي يكتسيه طابع السخرية، الاستهزاء والعنصرية من الكم الهائل من المهاجرين الذين يزحفون نحو ليبيا للحاق بأروبا، عبر الضحك المتخلل للخطاب؛ وقد كان لإظهار لقطات الشاحنات والمهاجرين في عرض الصحراء دورا هاما في إبراز المراوغة السياسية التي مارسها الزعيم الليبي فكانت عملتها آلاف من الأبرياء الذين يغامرون بحياتهم في عرض الصحراء لتحقيق حلمهم، إضافة لما سبق فكان لعنصر الصوت والموسيقى الموظفة دورا دلاليا في إيصال فكرة خطورة الموضوع وإضفاء صبغة الرعب والخوف للتأثير على المشاهد ولفت انتباهه حول القضية المطروحة في الفيلم الوثائقي.

ليتحول بنا المخرج لعرض مسيرة قافلة عبور الصحراء التي اتبعت بلقطة مضافة استدلالية لخريطة ليبيا والدول المجاورة، مع الإبقاء على صورة الشاحنات كخلفية للقطعة، مرفقة بترافلينغ عمودي تصاعدي، لتوضيح مسار الشاحنات، مع الإبقاء على نفس موسيقى الرعب، حيث جاء التعليق عليها كالتالي:

"Pourtant des milliers d'africains rêvent d'une vie meilleure et continuent encore et encore et toujours à partir en Libye, ils vont risquer leurs vies en traversant le désert de Ténéré, ils fuient la misère, la guerre, la dictature"

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية التعليق في الفيلم الوثائقي الذي يعتبر من العناصر الهامة التي يتم إضافتها على المادة الوثائقية التي تستخدم في أساسها الحياة الواقعية كمادة خام، حيث تشمل وظيفة التعليق ملء الفراغ أو شرح ما لا تستطيع الصورة وحدها إيصاله أو إثراء الفيلم بمضمون أكثر؛ ومن خلال الربط بين ما قدمه المشهد وبين ما تضمنه التعليق يمكن أن نستخلص أن العبارات الألسنية الواردة في التعليق جاءت صريحة جدا، عن قضية هجرة الأفارقة وزحفهم لأوروبا عبر دولة العبور المتمثلة في ليبيا فحسب الدراسات والأبحاث، فإنها تمثل: "المدخل الطبيعي للوصول إلى قلب القارة الإفريقية، فهي تتوسط القسم الإفريقي الشمالي، وهي تمثل البوابة الرئيسية الإفريقية نحو أوروبا من خلال موقعها الممتاز على البحر الأبيض المتوسط، الذي يلعب دورا

في ربط الشمال بالجنوب، وهو حلقة وصل بين مناطق جنوب أوروبا وإفريقيا" (الزنتاني إبراهيم، 2008، صفحة 197)

وكما أكدت أيضا الدلالات الألسنية، أنّ وراء فعل الهجرة غير الشرعية أسباب و دوافع أدت بالفرد أن يسلكها رغم صعوبة وخطورة الطريق حيث أن الواقع الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي وغير ذلك من عوامل، تدفع الأفراد خاصة الشباب لخوض غمار التجربة مهما كلفهم الأمر بحثا عن وضع أفضل؛ وأن دواعي الهجرة غير الشرعية تتدرج ضمن: "معادلة الطرد والجذب" هذا الأخير الذي يتم باتباع إجراءات وحوافز هامة لسوق العمل في الدول الصناعية، أما الطرد فيأتي من خلفية البطالة والضغوط والمشكلات الاقتصادية التي تعانيها الدول النامية والتي تشكل مؤشرات وعوامل طرد قوية نحو الدول الغربية المتقدمة (المخاديمي، 2012، صفحة 25).

واختار المخرج اللقطة العامة للشاحنات المرفقة بالتعليق التالي: « Voici leurs histoires » لتمثل عبارات التعليق أحد الدلالات المباشرة في تصميم الفكرة وتمثيل الواقع، والتي وظفها المخرج في بناء فيلمه الوثائقي للإحالة على أن الفيلم يسرد قصة المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين في رحلة عبورهم الصحراء وخوض غمار الهجرة غير الشرعية؛ والتي تشير لبداية أحداث الفيلم؛ ليحيلنا الفيلم بعد ذلك لمشهد يظهر شخصا يؤدي الصلاة في عرض الصحراء، وفي الخلفية غبار كثيف مع صعوبة رؤية الشاحنات وهي تسير، فأنتى توظيف المشهد محاولا فيه المخرج إيصال فكرة، أنّ المهاجر الإفريقي غير الشرعي يعيش في متاهة لا يعرف بالتحديد مساره وأما الشخص الذي يؤدي الصلاة فيحمل رمزا أيقونيا عميقا مفاده أن المهاجر الإفريقي يؤدي صلاته ويدعو ويؤمن أنه يوما ما سيحقق حلمه في بلوغ أوروبا، ليتم الإبقاء على المشهد لحين إبراز البيانات المتعلقة بالفيلم الوثائقي (المعطيات الدالة على الفاعلين في انجاز الفيلم، المنتج، المصورين، اسم المخرج... إلخ) (Maha productions, 2011)، ويليه مباشرة إظهار عنوان الفيلم "LE PIEGE" مع الإبقاء على نفس اللقطة (فوتوغرام رقم 02)؛ فيعتبر العنوان أهم عناصر الفيلم حيث يقول "رولان بارث" بأن له وظيفة تحديد بداية النص، فالعنوان بمثابة المفتاح الذي ندخل به إلى الفيلم، كما أن توظيف العناوين في الأفلام لا يأتي اعتباطيا بل يحمل في داخله معاني ودلالات تعكس محتواه فكما ذكر "كلود دوشي" أن للعناوين الفيلمية ثلاث وظائف: وظيفة المرجعية والمرتبطة بالموضوع، وظيفة دلالية والتي تركز على المرسل إليه، وظيفة شعرية تركز على الرسالة (زراري، 2002، صفحة 117).

ومما سبق، يكون المخرج قد صوب في اختياره عنوان الفيلم "LE PIEGE" والذي يعني "الفخ" في ترجمته للغة العربية للدلالة على الفخ الذي وضعه القادة السياسيين ليكون ضحيته مهاجرين كان بلوغ حلمهم

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

أكبر من الصعوبات والتحديات التي صادفتهم خلال مسيرتهم عبر الصحراء وصولاً للحدود الليبية، ولغاية عبورهم البحر وغيرها من العقبات إذ مثل العنوان كل هذه الدلالات الرمزية في مصطلحه العميق.



فوتوغرام رقم 02: عنوان الفيلم.

❖ ثانياً: متتالية "المغامرين" العابرين للصحراء

نقل المخرج أجواء تخييم الشباب المهاجرين غير الشرعيين، منهم "أومارو" الذي يحاور المخرج ويشرح له المسار الذي يريد سلكه للهجرة، لتستوقفنا اللقطات بالاستماع لما يقصه المهاجرين من شهادات حية عن تجاربهم الشخصية، ليركز المخرج على الشاب "فوسايني" الذي يخوض التجربة للمرة الثانية ويروي ما صادفهم في طريق الصحراء النيجيرية، ليتحدث للكاميرا باللقطة القريبة وملاحح الحزن والذعر ظاهرة على وجهه ويسرد تجربته مبيناً ما يلي:

« -La première fois ont été 37 dans la petite voiture, on a vu des cadavres, il y a des gens qui sont morts, tout ça, on a marché à pieds pendant une semaine, et puis on est arrivé (...) »

لتقترب بنا اللقطات المتوسطة والقريبة وتظهر ذعر الشباب وهم يصغون لما يحكي صديقهم، فنشير هنا أن الحوار يعتبر أحد التقنيات السينمائية الذي يلعب دوراً هاماً في توصيل الأفكار والمعلومات للمتلقي حيث يعبر عن صدى كل شخصية من الشخصيات المكونة للفيلم ليأتي مبيناً اهتماماتها ورغباتها، وفي هذه المتتالية قد وظف المخرج عنصر الحوار مع المهاجرين الأفارقة لتكون كشهادات حية عن تجاربهم وإضفاء عنصر الواقعية لمضمون الفيلم عبر ما جاء في الدلالات الألسنية الصريحة للحوار.

ويتوالى العرض المشهدي ليصور المخرج مجموعة من المهاجرين مجتمعين جالسين أرضاً يتقاسمون الأكل من نفس الصحن، بحيث حمل اللقطات دلالات تضمينية لإبراز تعاون الشباب فيما بينهم لتحقيق حلمهم المشترك لبلوغ الضفة الأخرى من العالم؛ لتتحول بنا الكاميرا بلقطة قريبة تظهر وجه شاب ينظر في الأفق من نافذة، وكانت اللقطة مرفقة بالتعليق التالي: «ce voyage est un exilé forcé» فهنا تحيلنا التركيبية المشهدية التي تتضح من خلال العبارات اللفظية للتعليق المترجمة أن هؤلاء المهاجرين غير الشرعيين قد أُجبروا لخوض غمار التجربة الصعبة والقاسية، فعرضت هذه المرحلة من الفيلم معاناة "المغامرين" الشباب وأن

أوضاعهم المتدنية قد دفعتهم لتجربة الهجرة غير الشرعية، وبعدها جاء تركيز المخرج على شخصية الشاب "عصمان" ذو 29 عاما، بلقطة قريبة جدا لعينيه محققا في الأفق عبر النافذة وتتخلل اللقطة صمت رهيب، وقد أدت هنا الصورة الإيقونية (الفوتوغرام رقم 03) وظيفة تعبيرية ورمزية في تفعيل المعاني التي ترمز للأمل و شغف المهاجر وحلمه الذي يراوده في كل لحظة، في حين كان دور الشريط الصوتي المتمثل في الصمت الرهيب متزامنا مع اللقطة ليتيح المجال للمشاهد إمكانية فهم مشاعر المهاجر لتكون بذلك وظيفته سيكولوجية محضة. ليبدأ الشاب بالتحدث ويشرح كيف خاض غمار عبور الصحراء وأن الدوافع الاقتصادية هي التي أرغمته لاتخاذ قرار الهجرة وأوروبا تمثل مصدر جلب وإغراء، حسب ما كان يرويه أصدقاءه الذين تمكنوا من العبور للبر الأوروبي؛ في حين أن العديد من أقرانه الذين يخوضون هذه التجربة فيفضلون تسمية أنفسهم بالمغامرين بدلا من المهاجرين غير الشرعيين، حيث تؤكد العبارات الأسنية للتعليق المتخلل للمشاهد ذلك:

« Oussman le malien et les autres migrants ne se voient pas comme des clandestins, ils sont aventuriers et fiers de l'être »



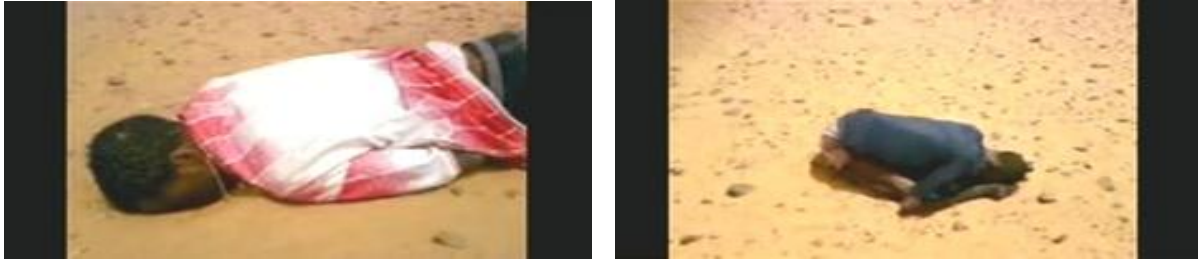
فوتوغرام رقم 03: الشاب "المغامر" "عصمان" ينظر في الأفق من خلال نافذة.

❖ ثالثا: متتالية معاناة المهاجر الإفريقي غير الشرعي:

ركزت المشاهد على انطلاق الشاحنة وقت الغروب وسط هبوب عاصفة رملية مع إظهار الشاحنات المحملة بالأمّعة والمهاجرين، مع التعليق المصاحب التالي: « le Sahara est hors la loi, c'est la route » (...)de tout les trafics » حيث كان توظيف اللقطات والتركيبية الإيقونية لها (تصوير لقطات من العاصفة) كان متزامنا مع الخطاب الأسنى للتعليق الذي أعطى له بعدا دلاليا مبينا أن الصحراء الكبرى مكان لممارسة جميع أنواع التهريب"، وفي هذا الصدد "تشكل "أغاديز" مركزا للمهربين والمتاجرين بالبشر الراغبين في الوصول إلى أوروبا" (وكالة الأنباء الفرنسية، 2017) ، فتبين لنا المتتالية نشاط المنطقة باعتبارها مكانا استراتيجيا محميا بتواجد القوات العسكرية، ولتظهر مباشرة لقطات من فيديو مصور من طرف جندي جزائري بهاتفه النقال والتي تتضمن في محتواها صوراً مساوية لمهاجرين لاقوا حتفهم في عرض الصحراء، "فإن هؤلاء

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيمبولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

المهاجرين القادمين من دول إفريقيا جنوب الصحراء، وبينهم أطفال ونساء ماتوا عطشا لأن مركباتهم تعطلت" (وكالة الأنباء الفرنسية، 2017) حيث واصلوا المشي على الأقدام تحت أشعة الشمس الحارقة ونفذت ذخيرتهم من المياه، حيث ركز المخرج على هذه الحقيقة التي تصادف المهاجر غير الشرعي من خلال بث اللقطات المبيّنة لجثث الضحايا مصاحبة بترتيل القرآن الكريم، فجاء توظيف الفيديو له دور إخباري أراد من خلاله المخرج أن يري للمشاهد معاناة تجربة عبور الصحراء التي تعتبر ممر الموت للعديد من المهاجرين غير الشرعيين.



فوتوغرام رقم 05: صور جثث المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين في عرض الصحراء.

وتستمر مسيرة القافلة، لحين توقفها لإصلاح العطب في عجلة إحدى الشاحنات مع توظيف موسيقى رعب، خوف وضياع، بعدها يظهر المشهد وصول الشاحنة لمكان الواحة، إذ تعتبر كموقف القافلات فتركز اللقطة المتوسطة على شخص يقوم بإدلاء دلو لقاع بئر ليتم ملئه بالماء ويتواصل المشهد لغاية اظهار المهاجرين وهم يشربون، وقد أتى هذا التصوير المشهدي يحمل بعدا دلاليا في رمزه الإيقوني للتأكيد عن أهمية الماء في الصحراء وكونه عنصرا أساسيا في رحلة العبور؛ لتليها اللقطة العامة مبيّنة وصول القافلة لمدينة "ديركو" التي اعتبرها المخرج بمثابة "فخ" محتم لكثير من المهاجرين الذين تنقطع بهم السبل فيمكنون لشهور كما أثبتته العبارات المكونة للتعليق « (...) *Dirkou est peut être un piège mortel* ، بل حتى لسنوات، وهم يعملون لتوفير المال الكافي لتغطية تكاليف العبور ومواصلة رحلتهم، أملا منهم تحقيق حلمهم في الوصول لأوروبا.

وتأتي اللقطات القريبة لتظهر ملامح خيبة أمل المهاجرين غير الشرعيين وعدم الثقة في الوصول، ومباشرة بلقطة الجزء الكبير نرى شاب يعمل كبناء في فضاء خارجي وهو يقوم بخلط الإسمنت ووضعها في عربة البناء الصغيرة ليتم التعليق عليها كالتالي: « *Pour ceux qui restent le temps c'est arrêté en plein cauchemar, l'aventurier est devenu esclave échoué dans l'enfer de Dirkou* (...)»

فالبناء المشهدي للقطات السابقة كان طابعها وثائقي ذو مصداقية التي مثلتها التركيبية الإيقونية لصورة

المهاجر غير الشرعي الذي تقطعت به السبل وأرغمه ذلك لتحمل مشقة العمل في ضل الظروف الصعبة.

بعدها يستوقفنا المخرج لعرض تجارب مهاجران تقطعت بهم السبل لعدم توفر المال الكافي لاستكمال الرحلة فبقوا عالقين فأرغموا على تحمل المشقة والتعب تحت أشعة الشمس الحارقة للصحراء النيجيرية، فعرض تجربة الشاب المالي ذو 21 عاما، متحدثا للكاميرا بلقطة قريبة مع التركيز على ملامحة ليصرح أنه قد غادر موطنه منذ 2008، بعد أن تقطعت به السبل ليمكث في المنطقة ويشتغل تحت أشعة الشمس الحارقة ويتقاضى أجرا هزيلا جدًا، وتعد هذه التجارب الحية من أحد المخاطر المحدقة بالمهاجر الإفريقي غير الشرعي" فتشمل مخاطر الرحلات غير النظامية الخطرة، العنف، والإساءة، والاستغلال والاتجار بالبشر والاسترقاق" (الأمم المتحدة و المنظمة الدولية للهجرة، 2020، صفحة 48).



فوتوغرام رقم 06: صورة لشاب المالي وهو يشتغل تحت أشعة الشمس الحارقة.

في حين صادف المخرج المهاجر "إيمانويل" ذو 25 سنة، العالق في المنطقة لمدة (07) سبعة أشهر ليروي هو الآخر تجربته التي خاضها منذ خمس (05) سنوات، تاركا ورائه كل شيء، سعيًا منه لبلوغ الضفة الأخرى من العالم وتحقيق حلمه بعد أن ازدادت عزمته بعد أن نجح أصدقاء له في عبور المتوسط عبر السواحل الموريتانية لبلوغهم إسبانيا، وقد أكد عن استعداده للذهاب لليبيا رغم القضايا السياسية، فقد أظهرت الدراسات الميدانية حول الظاهرة "أن الرحلة عبر الصحراء تمر بعدة مراحل، وتستمر من شهر واحد على عدة سنوات؛ فغالبا ما يقيم المهاجرون في مدن محلية أثناء الرحلة، وذلك للعمل وتحصيل بعض الأموال استعدادا للمرحلة القادمة وتكون في العادة في المناطق المفضلة للراحة للكاميرون، نيجيريا، موريتانيا، ليبيا والجزائر" (ظريف، 2016، صفحة 19)



فوتوغرام رقم 07: لقطة قريبة للشاب "إيمانويل" والتركيز على ملامحه.

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

ومن الملاحظ أن المخرج قد استعان بلقطات الشباب المهاجران التي حملتا في مدلولها الإيقوني معنى حقيقي للواقع الذي يعيشه رسم شخص المهاجر الإفريقي غير الشرعي، ومن الناحية السيميولوجية أتت اللقطات القريبة والقريبة جدا ذات بعد سيكولوجي لجعل المتلقي يحس ويشعر بمعاناة التي يمر بها المهاجر غير الشرعي.

❖ رابعا: متتالية "الفخ" ومرارة التعذيب في ليبيا:

رصد المخرج في هذه المرحلة المهاجرين غير الشرعيين في طريقهم إلى ليبيا ، فنقلت عدسة الكاميرا كيفية التحضير للمغادرة وركوب العربات الصغيرة التي ستقل ثلاثين (30) مهاجرا، وذلك يأتي اعتبارا للقانون الساري للرحلة حسب ما أكده العبارات الألسنية للتعليق المرفق؛ ليحيلنا الفيلم للمشهد الليلي لمغادرة القافلة مع التركيز على ملامح الخوف والقلق والارتكاب في نفوس المهاجرين، ونقول أن المخرج وظف الاتصال غير اللفظي عبر الإيماءات و الملامح من نظرات العين والتركيز على علامات الخوف الظاهرة على وجوه المهاجرين غير الشرعيين لتترجم احساسهم بين الخوف ، الارتباك، والأمل في بلوغ حلمهم. لتليها الرسالة الشفوية المتمثلة في مكالمة هاتفية لأحد المهاجرين "الشاب "عصمان " الذي يسرد الأجواء التي صادفتهم فور وصولهم للأراضي الليبية حيث اعتقلوا ووضعوا في مراكز خاصة وعذبوا بأبشع الطراق، لتشير العبارات الألسنية التي أدلى بها الشاب عن مرارة التعذيب الذي عوملوا به وأنهم بين الحياة والموت، ومع الإبقاء على نفس المشهد الليلي المتبع بالتعليق الموضح أن المهاجرين "المغامرين" وقعوا في "الفخ" مباشرة؛ و بالتوازي مع العبارات الألسنية كان المشهد كان لشريط الصوت المتمثل في صمت رهيب الذي يرمز في مدلوله التضميني أن المهاجر الإفريقي وقع في فخ المراوغة السياسية التي مارسها الزعيم الليبي؛ لتتحول بعدها الكاميرا للفضاء الخارجي، لتظهر الانقلاب على الحكم ونشوب الحرب الأهلية مبرزة ذلك في لقطة الجزء الكبير شاحنة عليها مدفع رشاش إذ صور لنا المخرج مشاهد من الهجومات التي شنها الثائرون مع التركيز على التعليق التالي : mais (...)»

L'histoire bascule en printemps 2011»

وقد حرص المخرج، من خلال المعطيات السابقة الظاهرة في الجانب الإيقوني للصور الموظفة في المشهد الفيلمي إضافة للجانب الألسني والعبارات المكونة للتعليق المرفق، أن يبرز مرحلة الانقلاب العسكري التي شهدتها ليبيا، فمثلت المرحلة انقلاب الموازين على الزعيم الليبي "معمر القذافي"، "فبدأت الاحتجاجات بمدينة بنغازي باستعمال المنتديات وبرامج التواصل الاجتماعي لحشد الجماهير ضده والمطالبة بإسقاطه (...)" وكانت الاحتجاجات في ليبيا بطابعها السلمي في شكل مظاهرات شعبية غير أن طبيعة النظام والدولة القائم

على نظام القبيلة والعشائر في ظل غياب شبه تام للمؤسسات الدستورية والقانونية والأجهزة الأمنية دفع بالوضع لمسار العنف والافتتال بين معارضي "القذافي" ومؤيديه وفي 03 مارس 2011 أعلنت محكمة الجنايات الدولية إجراء تحقيق في ارتكاب الزعيم الليبي جرائم ضد الإنسانية لتصدر بعدها مذكرة توقيف في حقه في 27 جوان 2011" (لخضاري، 2013، الصفحات 432-434)؛ فأبرزت اللقطات الفيلمية تصوير مراكز سجن وتعذيب المهاجرين بعد احتجازهم فور وصولهم إلى مدينة بنغازي، وبين المخرج باللقطات المتوسطة والقريبة الأوضاع غير الإنسانية في هذه المراكز خاصة التي تتعدم فيها أدنى شروط الرعاية؛ مع التركيز على الجدران لإظهار الرسومات التي تركها المهاجرين (الفوتوغرام رقم 08) فحسب المخرج هي بمثابة توقيع ورسم حقيقة ما كانوا يمرون به من تعذيب جسدي ونفسي بعد أن تقطعت بهم السبل وأصبحوا معتقلين يمارس عليهم الاسترقاق والتعذيب بمختلف أشكاله حيث جاءت العبارات الموظفة في التعليق موضحة مرارة الوضع الذي عاشه المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين:

« Les murs témoignent de leurs calvaires, les migrants dessinent leurs pays leurs espoirs(...) »



فوتوغرام رقم 08: جدران مراكز اعتقال المهاجرين غير الشرعيين التي رسموا عليها مرارة تجربتهم

❖ **خامسا: متتالية عبور البحر ونهاية الفيلم:**

أظهر لنا المخرج في هذه المرحلة كيفية عبور المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين البحر الأبيض المتوسط انطلاقا من السواحل الليبية عبر قوارب الموت المحملة بالمئات منهم، بعد إلغاء اتفاقية الحد من الهجرة غير الشرعية سنة 2011، حيث صور كيفية استغلال هؤلاء المهاجرين الأبرياء، في المراوغات السياسية ليضلوا تائهين في دوامة لا متناهية بدون وثائق، وقد التقى المخرج بمجموعة من الشباب الذين حاولوا العبور للسواحل الإيطالية، أين تم إيقافهم في عرض البحر من طرف القوات البحرية الإيطالية وتسليمهم للقوات الليبية مباشرة وتعذيبهم بوحشية، ومن الملاحظ في التركيبة الإيقونية للمشاهد، حيث انصب تركيز الكاميرا على ملامح الشباب في اللقطات القريبة والقريبة جدا محاولا فيها المخرج مخاطبة المتلقي بنقل مشاعر المهاجرين للمتفرج ونقل مرارة

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيمولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

ما عايشوه عبر هذه اللقطات السيكلوجية، وهذا النوع من اللقطات " تستخدم بهدف تبيان نفسيات الشخصيات بحيث يقول "إنزشتاين" بخصوص اللقطة القريبة بأنها تسمح للمتفرج بأن ينغمس في الواقع الأكثر حميمية للشاشة" (Loutman, 1977, p. 46)

لنتوالى اللقطات لنرى العديد من الزوارق القديمة الراسية بميناء بنغازي، إذ يواصل المهاجرين غير الشرعيين التسلسل لهذه المعابر البحرية أين يتواجد ويتمركز المهربين وتنشط عمليات التهريب التي تمثل مصدر نشاط وازدهار المنطقة أثناء حكم "القذافي" ولكن بعد إلغاء اتفاقية الصداقة، تغيرت موازين المراوغة السياسية ليسمح للمهاجرين غير الشرعيين بالعبور لأوروبا، وهذا ما بينه المخرج في مشاهد لعديد القوارب المحملة بالمئات من المهاجرين:



فوتوغرام رقم 09: قوارب محمولة بالمئات من المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين.

وبتصوير ليلى نشاهد قارب في عرض البحر، لنتسمع مباشرة لمكالمة هاتفية لأحد المهاجرين الذي يصف للمخرج أجواء الانطلاق التي عايشها مع العديد من المهاجرين الشباب، النساء، الأطفال، وحتى الشيوخ على متن القوارب بعد السماح لهم بمغادرة الأراضي الليبية نحو إيطاليا، لتنتقل بنا المشاهد الليلية لتصور سفينة على متنها مهاجرين يهرعون بالقفز للنجاة بأنفسهم بعد اصطدامها بصخور شاطئ "ليمبيدوزا" فيفقد المئات منهم في البحر.

و تجدر الإشارة أن "جزيرة لامبيدوزا" الإيطالية التي أصبحت نقطة استقبال لآلاف المهاجرين غير الشرعيين من سواحل الشمال الإفريقي، حيث تنقل وكالات تهريب البشر المهاجرين ذكورا وإناثا وأطفالا أيضا من تونس والمغرب والجزائر إلى سواحل ليبيا حيث تجميع المهاجرين ومن ثم يتم نقلهم بالقوارب إلى جزيرة "لامبيدوزا"، ومما يدل على خطورة الموقف أن حوالي 50 إلى 60 بالمئة من المهاجرين فقط من يصلون إلى وجهتهم بينما يغرق باقي المهاجرين في البحر أو يموتون بسبب التكس والعواصف والأمواج" (ساعد، 2012، صفحة 50).

لتحليلنا اللقطة التوضيحية لخريطة اليونان وتركيا تظهر لنا الشاشة المسار الذي يسلكه المهاجرين الذي تمكنوا من الوصول إلى البر الأوروبي ليتم ترصدهم ووضعهم في مراكز خاصة لمكافحة الهجرة غير الشرعية

ومن بينها الوكالة الأوروبية لحرس الحدود والسواحل " **Frontex** " " **فرونتكس** "، وذلك يأتي ضمن تفعيل مراكز حجز وإيواء المهاجرين غير الشرعيين لأول مرة وحدد القانون المدة الزمنية لحبس المهاجرين المقدرة بـ 30 يوما ليتم بعدها تحديد مصيرهم، إما عن طريق السماح لهم بالإقامة والعمل في إيطاليا أو ترحيلهم إلى بلدانهم الأصلية أو محاكمتهم في حين قاموا بأفعال يعاقب عليها القانون أثناء فترة تواجدهم بإيطاليا" (Thomas, 2002, p. 393)

كما تتبع المخرج بعض المهاجرين لغاية وصولهم ومكوئهم في محطة القطار القديمة المتوقفة عن الخدمة حيث اتخذها هؤلاء الشباب المغامرين مساكنا لهم لحين أن يجدوا حلا لوضعيتهم والتسلل للبر الإيطالي سعيا منهم في الحصول على اللجوء السياسي بعد أن تيقنوا أن اليونان لن تمنحهم هذا الحق؛ حيث جاء المحتوى الإيقوني للقطات حاملا دلالات ضمنية حقيقة للواقع المرير الذي صادفه المهاجر غير الشرعي حين وصوله لأوروبا؛



فوتوغرام رقم 10: المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين في محطة القطار القديمة باليونان.

ليصادف المخرج بالشاب "باهير" صاحب 21 عاما، الذي ترك بلده "دارفو" هروبا من الحرب حيث فقد كل أفراد عائلته؛ فيختبئ في اليونان لمدة (07) سبعة أشهر، مثل العديد من أقرانه سعيا منه للوصول لفرنسا، ليضل المهاجر الافريقي مختبئا خوفا من أن تترصده كاميرات المراقبة ليعاد للبلد الذي تسلل عبره للبر الأوروبي، وهذا تطبيقا للقانون الأوروبي الساري تطبيقه؛ إلا أنّ هذا الشاب يبقى يحلم بتحقيق طموحاته وأحلامه بعد أن نجح أخوه في تجربة الهجرة غير الشرعية ومنحه الجنسية الفرنسية، غير أن الحظ لم يكن لصالح الشاب "باهير" فيتم ترصده من قبل الشرطة الحدودية لإرساله مباشرة إلى الأراضي الإيطالية، فكان لتوظيف هذه الشهادة الحية للمهاجر تعبيرا واقعا لوضع المهاجر وأن العقوبات تضل تحاصره رغم وصوله لأوروبا؛ وبالمقابل، فلم يغفل المخرج "Alexandre Dereims" من تصوير المهاجرين الذين لم يتمكنوا من العبور ليتم إجلائهم في مخيم اللاجئين بشوشة في تونس والذي تسييره المنظمة العالمية للهجرة " Organisation Internationale de la

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

"Migration – OIM" بالتعاون مع الجيش التونسي، فبين لنا تحطم أحلامهم التي سعوا لأجلها لتبينه لنا العبارات الألسنية للتعليق مع توظيف للموسيقى الحزينة :

« (...) l'aventure est terminée le rêve s'est évanoui restes interminable retour sans gloire et sans argent(...) »



فوتوغرام رقم 11: المهاجرين غير الشرعيين في مخيم اللاجئين بشوشة(تونس) بعد تحطم أحلامهم.

ويمكن القول من خلال المشاهد الأخيرة للفيلم، أن التركيبة الفيلمية في مستواها الألسني والإيقوني بنيت في شكل متوازي ومتكامل في تصميم فكرة المخرج المبنية أساسا في رسم الواقع الذي عايشه المهاجر غير الشرعي، حيث كانت للقطات بعدا دلاليا خاصا في تمثيل مشاعر المهاجر ونقلها للمتلقي.

4. نتائج التحليل:

بعد التحليل السيميولوجي للمتاليات المختارة من الفيلم الوثائقي توصلنا لجملة من النتائج حيث يمكن

تلخيصها كالآتي:

1_ استعان المخرج Alexandre Dereims بالمشاهد الاخبارية في بداية فيلمه الوثائقي لتكون كأحد المؤشرات المفتاحية لموضوع الفيلم، مع التركيز على المراوغة السياسية التي مارسها "القذافي" في فترة حكمه قبل نشوب الحرب الأهلية وانقلاب الحكم ضده؛

2_ إن العنوان الذي اختاره المخرج والمتمثل في " LE PIEGE " -"الفخ" لم يكن اعتباطيا، فكانت دلالاته ضمنية عميقة لوضع المشاهد أمام حقيقة التلاعبات السياسية الممارسة على آلاف من المهاجرين الأفارقة، حيث مثل العنوان كل ذلك في مدلوله العميق؛

3_ رسم الفيلم الوثائقي محل الدراسة الظروف والواقع الذي يعيشه المهاجر غير الشرعي، من خلال تتبع المخرج في فيلمه الوثائقي تصوير مهاجرين غير شرعيين أو مغامرين (Aventuriers) كما يفضلون تسمية أنفسهم، "إمانويل"، "أومارو"، "سايبا"، "جاك" وغيرهم، حيث عرضت الدلالات الإيقونية للمشاهد والصور كيفية عبورهم الصحراء الكبرى النيجيرية وتحملهم المشقة حيث عاش المخرج ومرر وقائع الأحداث والعقبات التي

صادفته، كما ركزت كاميرا المخرج في العرض الفيلمي إبراز تحدي المهاجرين الأفارقة وتشبثهم بأحلامهم لبلوغ الضفة الأخرى من العالم وتحقيق حلمهم؛

4_ قام مخرج الفيلم بتوظيف عنصر الحوار في بناء تركيبة الفيلم عبر نقل الشهادات الحية المعبرة عن شخصية المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين، حيث كان له دورا بارزا في إضفاء عنصر الواقعية للمضمون بما تضمنه من دلالات صريحة تحمل كل المصادقية والواقعية؛

5_ تم تصوير معاناة المهاجرين غير الشرعيين قبل وأثناء عبور الصحراء والبحر وحتى وصولهم لإيطاليا واليونان وفرنسا؛ وبالمقابل كشف الفيلم الوثائقي عن كيفية استغلال، وتعذيبهم واسترقاقهم إذ تم سجن الآلاف منهم من طرف القوات الليبية في مراكز خاصة تتعدم فيها أدنى الشروط وتم التعامل معهم بكل وحشية وغير إنسانية؛

6_ نقل "Alexandre Dereims" خيبات أمل المهاجرين غير الشرعيين الذين لم يحالفهم الحظ في العبور حيث تقطعت بهم السبل لمواصلة الطريق فيبقون لشهور أو حتى لسنوات يعملون بأجور ضعيفة جدا ليوفروا المال لمواصلة رحلتهم، بينما يبقى الكثير منهم عالقين في الحدود التونسية، في مخيمات للاجئين في "شوشة" بتونس قبل عودتهم لأوطانهم؛

7_ أما من الناحية السيميولوجية، فاستخدم المخرج اللقطات العامة ولقطات الجزء الكبير لإظهار وإبراز زمكانية الأحداث والعقبات التي عاشها المهاجر الإفريقي غير الشرعي في الرحلة التي خاضها، بينما استعان باللقطات القريبة والقريبة جدا والتي تمثل أقوى أسلحة المخرج لإبراز شخص المهاجر الإفريقي غير الشرعي ونقل مشاعره وارتبائه في كل مرحلة من مراحل مسيرته لتحقيق حلمه، حيث أن لهذا النوع من اللقطات بعد سيكولوجي قوي في التأثير على المشاهد؛

8_ قام المخرج بتوظيف موسيقى خاصة كمؤثرات صوتية تضفي الرعب والخوف بغية التأثير في المشاهد للفت انتباهه حول القضية ومعرفة واقع ما يعيشه المهاجر الإفريقي غير الشرعي.

خاتمة:

تتحد قوة الفيلم الوثائقي في بينيته ومحتواه الذي يركز على تقديم وتمير حقائق من الحياة الواقعية ووضعها في قالب مميز، لتكون فيها الصورة الفلمية لهذا النوع من الأفلام أقرب للمتلقى لتكون بذلك "سينما الحقيقة أو الواقع"؛ ومن هذا المنطلق كان للفيلم الوثائقي "LE PIEGE" والذي تناولته دراستنا بالتحليل السيميولوجي مثالا حيا عن حقيقة الهجرة الإفريقية غير الشرعية أين تم تقديم صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي الذي خاض غمار هذه التجربة الصعبة بعبوره الصحراء الكبرى النيجيرية لحين وصوله للحدود الليبية

صورة المهاجر الإفريقي غير الشرعي عبر الفيلم الوثائقي
دراسة تحليلية سيميولوجية للفيلم الوثائقي: "LE PIEGE"

كدولة عبور لبلوغ الضفة الأخرى من العالم المتقدم، أين تستوقفه قضايا جيوسياسية لم يتفقه لها؛ وقد سلطت عدسة كاميرا المخرج على مهاجرين شباب "مغامرين" كما يلقبون أنفسهم، فركزت باللقطات السيكلوجية القريبة منها والقريبة جدا إبراز مرارة التجربة بتسليط الضوء على مشاعره وارتبائه و خوفه في كل مرحلة من مراحل مسيرته المحفوفة بالمخاطر، وتميرها للمشاهد بغية التأثير فيه ومحاولة فهم أعمق لظاهرة للهجرة غير الشرعية التي تمثل أبرز القضايا الدولية والأكثر تداولاً على جميع الأصعدة وهذا ما يستدعي فتح مجال البحث ووضع طرق واستراتيجيات خاصة وتطوير إنتاج الفيلم الوثائقي لمكافحة الظاهرة وتعميق الجدل حولها.

6. قائمة المراجع:

أ. باللغة العربية:

1. الأمم المتحدة و المنظمة الدولية للهجرة. (2020). تقرير حالة الهجرة لدولية لعام 2019: الاتفاق العالمي من أجل الهجرة الآمنة و المنظمة و النظامية في سياق المنطقة العربية. بيروت: إسكوا للأمم المتحدة.
2. باتريشيا أوفدرايدي. (2013). الفيلم الوثائقي مقدمة قصيرة جدا. (شيماء طه الريدي، المترجمون) القاهرة: هنداوي للتعليم و الثقافة.
3. رشيد ساعد. (2012). واقع الهجرة غير الشرعية في الجزائر في منظور الأمن الانساني.رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة محمد خيضر.بسكرة. الجزائر.
4. سهير جاد ، و سامية أحمد علي . (1997). البرامج الثقافية في الراديو و التلفزيون. القاهرة: دار الفجر .
5. شاعر ظريف. (جوان، 2016). معضلة الهجرة السرية في منطقة الساحل الإفريقي و الصحراء الكبرى و ارتداداتها الإقليمية. مجلة العلوم القانونية و السياسية (13)، الصفحات 10-23.
6. صالح محمد الفوال. (1982). مناهج البحث في العلوم الاجتماعية. القاهرة: مكتبة الغريب.
7. عبد الحليم أيمن. (2015). إعداد البرامج الوثائقية . عمان : دار المناهج للنشر .
8. عبد القادر رزيق المخاديمي. (2012). الهجرة غير الشرعية و اللجوء السياسي (الإصدار 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
9. عواطف زراي. (2002). صورة المرأة في السينما الجزائرية: تحليل نصي سيميولوجي لفيلمي "القلعة" و"نوبة نساء شنوة".رسالة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر. الجزائر.
10. محمد أعبيد الزنتاني إبراهيم. (2008). الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية (الإصدار 3). الاسكندرية: المكتب العربي الحديث.
11. محمود إبراهيم . (2001). علاقة السيميولوجية بالظاهرة الاتصالية، دراسة حالة السينما، أطروحة دكتوراه بالأبحاث في علوم الإعلام و الاتصال ، كلية الآداب و اللغات. الجزائر: جامعة الجزائر.

12. منصور لخضاري. (2013). استراتيجية الأمن الوطني في الجزائر 2006-2011. رسالة دكتوراه في العلوم السياسية و الإعلام، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية. جامعة الجزائر. الجزائر.
13. منى الحديدي . (1982). *الفيلم التسجيلي (تعريفه، اتجاهاته، أسسه وقواعده)*. القاهرة: دار الفكر العربي.
14. منى الحديدي. (2002). *الأفلام التسجيلية و البرامج الوثائقية*. القاهرة: دار الكتب.
15. موريس أنجرس . (2004). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية (تدريبات و تعليمات)*. (بوزيد صحراوي ، كمال بوشرف وآخرون، المترجمون) الجزائر: دار القصة للنشر و التوزيع.
16. هارمي فورست. (2000). *السينما التسجيلية عند جريسون*. (صلاح التهامي ، المترجمون) القاهرة: منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب.
17. وكالة الأنباء الفرنسية. (1 جوان، 2017). *فرانس 24*. تاريخ الاسترداد 14 أكتوبر، 2020، من France24.com: <http://www.google.com/amp/s/amp.france24.com/ar/20170601-%25D8%25>

ب . باللغة الأجنبية:

18. Bureau International du Travail. (2004). *Une approche équitable pour les travailleurs migrants dans une économie mondialisé*. conférence internationale de BIT 92ème session, Genève.
19. Ducrocq, I. (2011, septembre 27). *Réseau Education Sans Frontières*. Consulté le décembre 17, 2020, sur [reseau-rest.fr](http://reseau-rest.fr/Le-Piege-Un-documentaire-d-Alexandre-Dereims): <http://reseau-rest.fr/Le-Piege-Un-documentaire-d-Alexandre-Dereims>
20. Joly, M. (1994). *Introduction à l'analyse de l'image* . Paris : Nathan université .
21. Lazar, J. (1993). *La science de la communication, que sais-je ?* (éd. 2e corrigée). Alger: édition Dahleb.
22. Loutman, L. (1977). *Esthétique et sémiotique du cinéma*. (S. Breuillard, Trad.) Paris: sociales.
23. Maha productions, P. N. (Producteur), & Dereims, A. (Réalisateur). (2011). *LE PIEGE* [Film]. Consulté le Novembre 23, 2020, sur <https://www.youtube.com/watch?v=zOabYw4IaME>
24. Martin, M. (1992). *Le langage cinématographique*. Paris: Les éditions du CERF.
25. Thomas, I. (2002). *La loi italienne sur l'immigration, un cadre rénové mais encore insuffisant*. (g. d. public, Éd.) Paris: édition A.pedone.
26. Tlaxcala. (2020, décembre 16). *Le réseau international ds traducteurs pour la diversité linguistique*. Consulté le décembre 16, 2020, sur Tlaxcala: www.tlaxcala-int.org/biographie.asp?ref_aut=4995&lg_pp=fr
27. TRAVERSESES. (2020, décembre 17). *film-documentaire.fr/portail du film documentaire*. Récupéré sur [film-documentaire.fr](http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w_fiche_film/52181_1): http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w_fiche_film/52181_1
28. TRAVERSESES. (2020, Décembre 17). *film-documentaire.fr/portail du film documentaire*. Récupéré sur [film-documentaire.fr](http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w_fiche_film/35444_1): http://www.film-documentaire.fr/4DACTION/w_fiche_film/35444_1